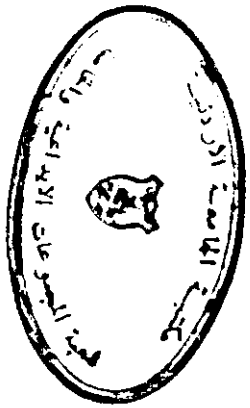

٧٥٧
٢٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة دمشق
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

البلاغة في التفسير القرآني لأندلسي

في القرنين السابع والثامن

بحث قدم لنيل درجة الدكتوراه في علوم اللغة العربية

بإشراف الأستاذ الدكتور
أسعد أحمد علي

تقديم الطالب
خلدون سعيد صبح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقل رب زدني علما

صدق الله العظيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الإهـــــداء)

إلى التي قصدتُها فلبَّتني

إلى التي حنَت علي فأعلتني

إلى التي حضنتني فحلَّقت بي

إلى أمِّي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

... تعددت الدراسات القرآنية التي تناولت البحث النحوي ودلالاته البلاغية، وقد سعت هذه الدراسات إلى إيضاح إعجاز القرآن الكريم، وقام كثير من النحويين بدراسة الأساليب القرآنية في سياق بحوثهم التي صنفوها في النحو، ولكن هذه البحوث لم تستطع غالباً الوصول إلى أعماق النص القرآني غير أنَّ بعض البلاغيين استطاعوا أن يلجوا إلى أعماق بعيدة في معاني النص ودلالاته البلاغية التي تثبت إعجازه الكلامي واللغوي والبلاغي، ومن المعروف أنَّ القرآن الكريم تحدَّى العرب في لغتهم التي يتقنونها بما ضمَّت سوره وآياته من إعجاز لغوي بلاغي، على أنه قد جاء بلسانهم ولغتهم فهو جوهر كلامهم وخلاصة أحكام لغتهم التي اعتمدها الفقهاء في تفسير آيات الأحكام الشرعية، وقد كان هذا الإعجاز البلاغي ملهم الأدباء من شعراء وكتاب بما امتازت به آياته من معجز القول.

ورغبة مني في متابعة البحث الذي قمت به في مرحلة الماجستير حول (التقديم والتأخير في القرآن الكريم) فقد آثرت أن تكون دراستي اللاحقة في الإعداد لنيل درجة الدكتوراه في مضمار البحث القرآني ذاته وفي الدراسات البلاغية لأنها ذات بعد فكري عميق لما فيها من الجمع بين النحو والبلاغة، يضاف إلى ذلك أنها دراسة جادة وجديدة لمواءمتها الدراسات اللغوية البلاغية الحديثة وتأتي ضرورتها بسبب توزع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع في كثير من الكتب، فهي في حاجة إلى تصنيف وتبويب وبحث ودراسة ولا سيمَّا أنَّ البلاغة في العصر الأندلسي تميَّزت ونضجت على يد بعض المفسرين كأبي حيان الأندلسي وابن جزي.

والأهم من ذلك كله رغبتي في خدمة التراث العربي الإسلامي الذي يحمل في طيّاته حضارة مشرقة لا يخفى نورها عن الألباب.

أما عنوان البحث فهو: البلاغة في التفسير الأندلسي في القرنين السابع والثامن. وقد اعتمدت في مصادري لهذا البحث ثلاثة تفاسير قرآنية لا غير تمثّل تلك المرحلة الزمنية الأندلسية وما تبقى من الكتب التي اعتمدتها في بحثي هذا جعلتها مراجع، والتفاسير الثلاثة المذكورة هي:

١ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ هـ)

٢ ـ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ت ٧٤١ هـ)

٣ ـ والتفسير الكبير المسمَّى بالبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)

ومن أهم المراجع التي عدت إليها كتاب معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) وكتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني (ت ٤٧١ هـ) كتاب التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ت ـ٦١٦ هـ) وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) وكتابا تلخيص المفتاح والإيضاح للخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) وكتاب الإتقان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١ هـ) وغيرها من المراجع النحوية والبلاغية والشعرية).

وقد ارتأيت تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تتضمن نتائج البحث.

تناولت في الفصل الأول نشوء البحث البلاغي في الأندلس وتطوره، وذكرت أعلام البلاغيين في التفسير الأندلسي وأثر البلاغيين المشرقيين في البحث البلاغي الأندلسي ومنهج التفسير الأندلسي عارضاً ذلك من خلال المفسرين الثلاثة ومعتمداً في النموذج المشرقي المفسر الزمخشري صاحب الكشاف (ت ٥٣٨ هـ) لإظهار علاقة التأثر والتأثير بين المشرق والأندلس لكونه المفسر الأكثر تأثيراً في ابن جزي وأبي حيان موافقة أو مخالفة في التفسير القرآني عموماً والبلاغة خصوصاً. ثم ذكرت ما وصلت إليه من نتائج في هذا الفصل أثبتها في آخره.

وفي الفصل الثاني بحثت في جهود القرطبي وابن جزي وأبي حيان في علم البيان ذاكراً التشبيه والاستعارة والمجاز العقلي والمجاز الإسنادي والكناية وموردا أمثلة من تفاسيرهم، وقد قمت بتحليل هذه الأمثلة ودراستها معتمداً السياق العام للآيات لأنَّ دراسة الظاهرة معزولة عن سياقها تفضي إلى تحليل غير دقيق ونتائج مجانبة للصحة، فعلم البيان بما يحتويه من أنواع مختلفة ومسمّيات متعددة عند المشارقة كان الأصل الذي اعتمده المفسرون الأندلسيون وإن لم يصطلحوا على ضروب البلاغة كافة لأنَّ همهم ليس البحث عن أنواع التشبيه أو الاستعارة والكناية... وإنما البحث عن المعنى القرآني والصورة القرآنية وفهم المعنى الفقهي المستنبط من هذا التشبيه أو تلك الاستعارة...

وفيما يتعلق بالمجاز العقلي ومن خلال تحليل النصوص نجد المفسرين الأندلسيين قد اصطلحوا على الإسناد بدلاً من المجاز العقلي، وعوَّلوا على الزمخشري في حديثه عن الفعل وملابساته للفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له. وفي المجاز المرسل نراهم يتفردون في تسميتهم لبعض أنواع المجاز المرسل.

وأما الكناية فالمستقصي في تفاسير الأندلسيين يجدهم قد فصلوها عن المجاز، فلم يصطلحوا على لفظ المجاز عند حديثهم عن آية ما تضمنت كناية وإنما اكتفوا بتفسير الرمز والإيماء إلى الحقائق الدينية الكبرى المتعلقة بذات الله وصفاته بأسلوب تزيده المبالغة حسناً لأنه يقرِّب الفكرة المجردة من الصورة المحسَّة.

وتابعت بحثي بالفصل الثالث ذاكراً الجهود البلاغية في علم المعاني عند المفسرين الأندلسيين مقتصراً على ثلاث ظواهر هي: الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والفصل والوصل. وسبب اقتصاري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على هذه الظواهر من علم المعـاني أنَّ هـذا النـوع مـن علـم البلاغـة واسـع اتسـاع البحـث بأكملـه، فارتأيت اصطفاء تلك النماذج البلاغية الثلاثة. وقد عوَّلت على الكتب المشهورة في تعريف الأغـراض البلاغية والدلالات لكـل نـوع مـن أنـواع علـم المعـاني المذكـورة ومـن تلـك الكتـب مفتـاح العلـوم للسكاكي والتلخيص والإيضاح للقزويني وتهذيب السعد تفتازاني والإتقان للسيوطي. ثم انتقلت بعد ذلك إلى دراسة هذه الظواهر عند المفسرين الأندلسيين الثلاثة حسب الترتيب الزمني لوفـاة كـل منهـم ابتغاء الوصول إلى التطور التـاريخي للمصطلـح البلاغـي إن وجـد، وقـارنت بـين المفسـرين الثلاثـة في استعمالهم للمصطلح البلاغي وما يخرج إليه الخبر والإنشاء من أغراض بلاغية مختلفة.

وتعدُّ ظاهرة التقديم والتأخير من الظواهر التي وقف عندها المفسرون الأندلسيون وبيَّنـوا أغراضهـا البلاغية لذلك كان لزاماً عليَّ أنْ اقف عند هذه الظاهرة وأبحث في أسباب التقديم والتأخير في الجملـة الفعلية والاسمية وفي الجملة والمفرد وفيما أشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف أنه مـن بـاب التقديـم والتأخير اتضح. وعوَّلت على البرهان للزركشي والإتقـان للسيوطي ومفتـاح السعادة لطـاش كـبري زاده... بالإضافة إلى مصادري الأساسية.

هذا وقد أكدت العلاقة بين دراسة التركيب النحوي وفهم المعنى البلاغي من خلال هـذه الدراسـة للتقديم والتأخير لأنَّ بعض أنواع البلاغة ترجع في أصلها إلى العامل والمعمول من حيـث تلازمهمـا أو تباعدهما.

وفي الجزء الأخير من الفصل الثالث تناولت الفصل والوصل عند المفسرين الأندلسيين مركزاً على أبي حيان فقد نص أبو حيان على مواضع الفصل في القرآن الكريم وذكرت ضوابط الفصل والوصـل معتمداً على القزويني في كتابيه الإيضاح والتلخيص ثم درست الفصل في الجملـة الواحـدة ومـا يخـرج إليه من أغراض بلاغية كالتأكيد وذكر المعنى الكلي فالجزئي وتقديم أمر عقيدي مطلـق علـى صفـات لاحقة وذكرت بعض المواضع التي منع فيها أبـو حيـان جـواز الفصـل ثـم أنهيـت الفصـل الثـالث بمـا وصلت إليه من نتائج حول علم المعاني وما يتعلق بظاهرة الإنشاء والخـبر وظـاهرتي التقديـم والتأخـير والفصل والوصل.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان علم البديـع عنـد المفسـرين الأندلسـيين وفي هـذا الفصـل تركـزت الدراسة على ابن جزي الـذي تحـدث في مقدمـة تفسـيره عـن علـم البديـع لكننـا نجـد خلطـاً في هـذا التصنيف بين علم المعاني والبديع والبيان، فذكرت هذا الخلط وذكـرت أغلـب الأنـواع البديعيـة الـتي أوردها ابن جزي وقارنتها بالأنواع التي بيَّنها أبو حيان في تفسيره، وقـد خلصـت بعـد هـذه الدراسـة التحليلية إلى أنَّ هناك مصطلحات بديعية مختلف في تسميتها بين أبي حيـان وابـن جـزي فعلـى سـبيل المثال نجد ابن جزي يعتمد مصطلح التتميم في حين نجد أبا حيان يسميه الاحتراس كما سنرى.

وقد سرت في هذا البحث على منهج وصفي تحليلي يصنِّف الظواهـر بمـا تشـترك فيـه عارضـاً آراء المفسرين الأندلسيين مراعياً التسلسل التاريخي لحياتهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفسرين الأندلسيين مراعياً التسلسل التاريخي لحياتهم.

وجاءت الخاتمة لتعرض النتائج الرئيسية والعناصر العامة لدراسة البلاغة عند المفسرين الأندلسيين في القرنين السابع والثامن فكانت تكتظ بالأفكار والأغراض البلاغية السابرة لمعنى النص القرآني والتي تبيِّن استقلالية التفسير الأندلسي في أمور وعدم رسوخ بعض المصطلحات في أمور أخرى والخلط بين بعض أنواع البلاغة ثم أتبعت ذلك بالفهارس الفنية اللازمة للبحث.

وفي نهاية المطاف:

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للسادة الأساتذة المناقشين ولاسيَّما أستاذي الدكتور أسعد علي الذي أفاض عليَّ بواسع معرفته وكريم فضله وثمين وقته مما حفزني على إنجاز هذا البحث، وإن كان الشكر لا يفي بالفضل ولا يؤدي حقَّ العالم على المتعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـصـل الأول

نشوء البحث البلاغي في التفسير الأندلسي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشوء البحث البلاغي في التفسير الأندلسي

لا يستطيع الباحث في علم التفسير القرآني في الأندلس أن يفرق بسهولة ودقة بين تطور علم من علوم القرآن وآخر، وأن يحدد اللحظة الدقيقة لنشوء بحث من البحوث القرآنية.

فالتفسير القرآني يتوخى الوصول إلى المعنى الواضح العميق والدقيق الكامن في دلالات المفردات القرآنية. لذلك تعددت المباحث التي أنشئت على النص القرآني، وقد أدى تفسير آية من إحدى السور بآية من سورة أخرى إلى ظهور ما يُسمَّى بعلم الأشباه والنظائر، وكذلك أدى البحث في أسباب نزول الآيات وأحكامها وتطبيقاتها إلى ظهور علم أسباب النزول.

وكانت النتيجة المهمة فيما يتعلق بإعجاز القرآن البياني ظهور علم البلاغة بكل فروعه من بيان وبديع ومعان.

والمتقصي لتاريخ البلاغة العربية يجد أنَّ المشرقيين قد منحوا هذا العلم كلَّ جهدهم وأثروه بحثاً وتفسيراً واصطلاحاً، ابتداء بالمفسرين الذين انتحوا منحى لغويّاً كالفراء والزجاج والنحاس مروراً بالجرجاني، الصُّوة المهمة في تاريخ البلاغة العربية والذي أبدع نظرية النظم في كتابة الفذ (دلائل الإعجاز) وانتهاء بالزمخشري الذي وضع كتابه (الكشاف) في تفسير القرآن ليأتي معبراً عن نضج التجربة البلاغية العربية واستقرار مصطلحاتها.

وليس بخاف أنَّ الأندلسيين اعتمدوا اعتماداً كبيراً على كتب البلاغة والتفسير المشرقية، فكانت مصادرهم العلمية ومعلمهم الأول إلى درجة يمكن القول فيها ـ كما قيل سابقاً ـ إنَّ بضاعة المشرق رُدَّت إلى أصحابها، وهذا لا يعني أن الأندلسيين قاموا بنسخ الكتب المشرقية، ولم يقدموا جديداً أو لم يتفردوا بسمات علمية خاصة بهم، فقد بدأ التفسير الأندلسي رحلة طويلة انتقل فيها من المشرق إلى الأندلس، وتابع هذه الرحلة في داخل الأندلس نفسها، حيث أتمَّ نضجه، وتبلورت تجربته، واكتملت عند المفسرين الذين استطاعوا أن يضيفوا مصطلحات بلاغية جديدة، ويكونوا نظرية بلاغية أكثر عمقاً وتحليلاً للغة القرآنية المعجزة.

ونظراً لارتباط نشوء البحث البلاغي بالتفسير القرآني في الأندلس لا بدَّ لنا من تحديد تقريبي لفترة نشوء علم التفسير في الأندلس وذكر أعلامه وتحديد هذه الفترة من الصعوبة بمكان للأسباب التالية:

١ ـ ظاهرة الجمع بين العلوم: فالباحث في كتب التاريخ الأندلسي وتراجم أعلام الأندلس يلحظ هذه الظاهرة بوضوح، وإن كانت الشهرة في أحد العلوم، تبدو ظاهرة على غيرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو نظرنا إلى ترجمة عالم من علماء الأندلس في كتب التراجم وجدنا العبارة التي تبيِّن هذه الناحية، نحو: (العالم، الفقيه، المحدث، المفسر، النحوي...)[1] .

فعلماء الأندلس كانوا متعددي الثقافات يلمّون بعلوم كثيرة، فلا نستطيع أن نفرِّق بين النحوي أو البلاغي أو الفقيه في شخص واحد منهم.

ومرجع هذه الظاهرة كما يعلمنا ابن خلدون في مقدمته يُعَوَّل على طريقة تحصيل العلوم في الأندلس، فقد كانوا يبدؤون بتعلم القرآن الكريم أولاً، ثم اللغة العربية، والحديث والفقه، وهي طريقة انفرد بها أهل الأندلس عن سائر الأقطار الإسلامية[2] .

٢ ـ **كانت مدارس أهل الأندلس مساجدهم المنتشرة في المدن والحواضر**، وكان نظام الحلقات سائداً، حيث يضم مختلف العلوم، سواء ما كان منها يختص بالعلوم الشرعية أو العربية أو التاريخ، وهذا ما يخبرنا به المقري عن أهل الأندلس فيقول: «والعالم عندهم مُعظَّم من الخاصة والعامة، يشار إليه، ويحال عليه، ويَنْبُهُ قدره وذكره عند الناس، ويُكرَمُ في جِوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك، وليسَ لأهل الأندلس مدارسُ تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد»[3] .

وبهذا نجد عاملين أساسيين لعدم قدرتنا على تحديد فترة زمنية دقيقة لنشوء علم التفسير في الأندلس على الرغم من أن المصادر تصرح لنا أنَّ أول علم من أعلام التفسير في الأندلس جاء في القرن الثالث الهجري وهو:

١ ـ بَقيُّ بنُ مَخْلَد (ت ٢٧٦ هـ) صاحب التفسير الذي يقع في سبعين جزءاً كما ذكر أصحاب التراجم الأندلسيون وغيرهم[4] . وقد قال عنه ابن بشكوال: «فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثناء فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره.

رحل بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن إلى المشرق فروى عن أئمة وأعلام السنة»[5] .

وهذا الخبر بالرحيل إلى المشرق وأخذ العلم من أرض الشرق دليل ثابت على تأثر أهل الأندلس بالمشرق.

ثم جاء بعده مكي بن أبي طالب القيسي وهو مفسر قارئ نحوي (ت ٤٣٧ هـ).

وهو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي. كان فقيهاً مقرئاً أديباً. وله

---

(١) المشيني: مدرسة التفسير في الأندلس: ٧٩.

(٢) ابن خلدون المقدمة: ٥٣٨.

(٣) المقري ـ نفح الطيب: ٢١١/١.

(٤) الحميدي ـ جذوة المقتبس: ٣٥١، الضبي ـ بغية الملتمس: ٤٦٩، ابن بشكوال ـ الصلة: ١٩٥/١، وانظر أيضاً: الزركلي ـ الأعلام: ٦٠/٢، الداودي: طبقات المفسرين ١١٦/١.

(٥) ابن بشكوال: الصلة: ١٩٥/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواية، وغلب عليه علم القرآن، وكان من الراسخين فيه[1].ثم تبعه أبو بكر بن العربي (ت ـ ٥٤٣ هـ)[2]: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وألّف كتاباً في التفسير سمّاه (أحكام القرآن).

ونبغ مفسر آخر عدَّه العلماء شيخ المفسرين الأندلسيين، وهو عبد الحق بن عطية (ت ٥٤٦)[3] صاحب كتاب المحرَّر الوجيز ذكره ابن بشكوال فقال: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي من أهل غرناطة.

وقد أشار ابن خلدون إلى كتابه فقال: «وهو تفسير مختصر للتفاسير بالمنقول، ملخص لها، مع العناية الفائقة في التحقيق والتمحيص والتحرِّي بما هو أقرب للصحة والصواب، حسن المنحى»[4].

وخلَفَ ابنَ عطية الإمام المفسر أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت ٦٧١ هـ)[5] صاحب كتاب (الجامع لأحكام القرآن) وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبة رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها.

وتبعه ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١ هـ)[6] صاحب كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي، أبو القاسم فقيه من العلماء بالأصول واللغة من أهل غرناطة.

وكان أبو حيان الغرناطي الأندلسي ختام المفسرين في كتابه البحر المحيط (ت ٧٤٥ هـ)[7] . وقد أشار ابن خلدون إلى تطور التفسير القرآني ناقداً بعض كتب التفسير التي امتلأت بالأخبار الغريبة والإسرائيليات مشيداً بابن عطية والقرطبي قائلاً:

«فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيُتحرَّى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتُهم وعظُمت أقدارُهم، لِمَا كانوا عليه من

---

(١) ابن بشكوال ـ الصلة: ٩١٠/٣، الحميدي ـ جذوة المقتبس: ٣٨١، الضبي ـ بغية الملتمس ٦٢٧/٢، ابن الجزري ـ غاية النهاية: ٣٠٩/٢، الداودي: طبقات المفسرين ٣٣١/٢، الزركلي: الأعلام: ٢٨٦/٧.

(٢) الضبي ـ بغية الملتمس: ٩٢، ابن خاقان ـ مطمح الأنفس: ٦٢، الذهبي ـ تذكرة الحفاظ: ١٢٩٤/٤، اليافعي ـ مرآة الجنان: ٢١٤/٢، الداودي ـ طبقات المفسرين: ١٦٢/٢، الأعلام: ٢٣/٦، المقري ـ نفح الطيب: ٢٤٥/٢.

(٣) الصلة: ٥٦٣/٢، الضبي ـ بغية الملتمس: ٥٠٦/٢، الزركلي ـ الأعلام: ٣٨٢/٣.

(٤) المقدمة: ٤٣٩.

(٥) المسعودي ـ شذرات الذهب: ٣٣٥/٥، الداودي ـ طبقات المفسرين: ٩٢ مخلوف ـ شجرة النور الزكية: ١٩٧، الزركلي ـ الأعلام ٣٢٥/٥.

(٦) الدوادي ـ طبقات المفسرين: ٨١/٢، الأعلام ٣٢٥/٥

(٧) الشوكاني ـ البدر الطالع: ٢٨٨/٢، الداودي ـ طبقات المفسرين: ٢٨٩/٢ الأعلام: ١٧٢/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقامات في الدين والملة، فتُلقِّيت بالقبول من يومئذ. فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرَّى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداوَل بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى. وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق»[1].

ويؤكد هذا التعريف السريع بمفسري الأندلس كإضافة إلى مقولة ابن خلدون نتيجة وصل إليها أحد الدارسين لتاريخ نشوء علم التفسير في الأندلس تقول: «إنَّ علم التفسير في الأندلس نما وترعرع في القرن الخامس الهجري، ثم بلغ عظمته في القرن السادس الهجري على يد شيخ التفسير في الأندلس ابن عطية، ثم نضج في القرنين السابع والثامن الهجريين حيث برزت له مميزات واتجاهات»[2].

وسأذكر في هذا الموضع ترجمة موسعة لحياة ثلاثة مفسرين أندلسيين ومنهجهم في تفاسيرهم وأثر من سبقهم من المفسرين في تصنيفاتهم.

أولاً ـ القرطبي: (... ـ ٦٧١ هـ = ... ـ ١٢٧٣م)[3].

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي، أبو عبد الله.

توفي سنة ٦٧١هـ، أما فيما يتعلق بولادته فلم تذكر المصادر سنة ولادته، ولم تترجم لشيوخه أو تعلمنا شيئاً عن أسرته كغيره من العلماء[4].

صفاته:

ذكر العلماء القرطبي في مؤلفاتهم ووصفوه بأنه صالح متعبد، من أهل قرطبة، يتحلى بصفاتٍ حميدة، وخِلالٍ حسنة، وزهد في الدنيا، فقد وصفه ابن فرحون فقال: «كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة»[5].

شيوخه ومكانته العلمية:

سمع القرطبي من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب (المُفْهِم في شرح مسلم) بعض هذا الشرح، وحدَّث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي، وعن الحافظ أبي

(١) المقدمة: ٤١٠

(٢) المشيني ـ مدرسة التفسير في الأندلس: ٨٢

(٣) الزركلي ـ الأعلام: ٣٢٢/٥

(٤) الحنبلي ـ شذرات الذهب: ٣٣٥/٥، البغدادي ـ هدية العارفين: ١٢٩/٢، السيوطي ـ طبقات المفسرين: ٩٢، مخلوف ـ شجرة النور الزكية: ١٩٧، الزركلي ـ الأعلام: ٣٢٢/٥

(٥) الديباج المذهب: ٣٠٨/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي الحسن بن محمد البكري وغيرهما[1] . وقد أورد المؤرخون آراء حول القرطبي تتحدث عن قيمته العلمية والأدبية، فقد نقل المقري عن الكتبي قوله:

«كان أبو بكر شيخاً فاضلاً وله تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه، ووفور علمه، ومنها تفسير القرآن، مليح إلى الغاية، اثنا عشر مجلداً»[2]. وعدَّ بعض تلامذته أنَّ الكاتب أجحف في حقه في ترجمة الكتبي عنه: «قد أجحف المصنف في ترجمته جداً، وكان متقناً متبحراً في العلم»[3].

مؤلفاته:

ذكر ابن فرحون مؤلفات القرطبي فقال:

«كتاب التفسير، جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأُثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ.

و(الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى) و(كتاب التذكرة بأمور الآخرة) و(كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة وذل السؤال بالكتب والشفاعة)»[4]. وعلق ابن فرحون على هذا الكتاب الأخير فقال: «لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه»[5] ومن مؤلفاته أيضاً: «(كتاب التذكار في أفضل الأذكار) و(التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة) مجلدان و(التقريب لكتاب التمهيد)»[6].

منهج القرطبي في التفسير:

اعتمد القرطبي منهجاً (متكاملاً) فيما نسميه اليوم أو ما نطلق عليه (المنهج التكاملي)، إذا جاز لنا ذلك، وهو المنهج الذي: «يدرس العمل الأدبي دراسة لا تقتصر على منهج معين من مناهج الاتجاه الفني أو النفسي أو الاجتماعي بل هو مجموع هذه المناهج المتفرقة»[7]. وهذا المنهج «لا يقف عند حدود معينة بقدر ما يقف عند الشكل التعبيري ودلالاته وقد يطيل الوقوف عند النسيج باعتباره قالباً لمعان تنقل»[8]. ونستطيع أن نسبر هذا المنهج أو بعض معالمه اعتماداً على مقدمة التفسير التي يذكر فيها شيئاً من طريقه الذي سلكه في تفسيره حيث يقول:

«لقد رأيت إذ أشتغل به مدى عمري، وأنْ أستفرغ فيه منّتي، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن

---

(١) المقري ـ نفح الطيب: ٢/٤٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٤٢١.

(٣) ابن فرحون ـ الديباج المذهب: ٢/٣٠٨.

(٤) المرجع نفسه: ٢/٣٠٨.

(٥) المرجع نفسه: ٢/٣٠٨.

(٦) الزركلي ـ الأعلام: ٥/٣٢٢.

(٧) درويش، العربي حسن: النقد الأدبي الحديث مقاييسه واتجاهاته وقضاياه ومذاهبه: ١٣٢.

(٨) زكي، أحمد كمال، النقدالأدبي الحديث: ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نكتاً من التفسير واللغات والقراءات والإعراب، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة، شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها، ومبيناً ما أشكل منها، بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف»[1].

وما يهمنا في هذا المقام هو دراسة منهج القرطبي البلاغي والقرآني وستبتدئ بالمجاز.

المجاز:

إنَّ المتمعن في صفحات الجامع لأحكام القرآن، والباحث في المجاز القرآني في تفسير القرطبي يجده أحياناً يرجّح الحقيقة على المجاز وهذا ما سنؤكده في الأمثلة التي سنوردها.

ففي قوله تعالى:﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[2].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية موجِّهاً إياها نحو الحقيقة، ومبعداً معنى المجاز: «إنَّ معنى الختم والطبع والغشاوة والتسمية والحكم والإخبار بأنهم لا يؤمنون لا الفعل. قلنا: هذا فاسد، لأنَّ حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعاً مختوماً، لا يجوز أن تكون حقيقة التسمية والحكم، ألا ترى أنه إذا قيل: فلان طبع الكتاب وختمه. كان حقيقة أنه فعل ما صار به الكتاب مطبوعاً ومختوماً، لا التسمية والحكم. هذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة»[3].

ولعل القرطبي هنا يفسّر الآية على الحقيقة كما فسرها غيره من الذين اعتمدوا الحقيقة في تفسير القرآن أو يعتمد في تفسيره للختم على الآية الكريمة: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[4]. وإن لم يصرح بها.

يقول ابن كثير في تفسير (ران) في هذه الآية: «إنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، والرين يعتري قلوب الكافرين...»[5].

فالقرطبي يرجح معنى الحقيقة على معنى المجاز كما رأينا، وهذا ما يؤيده أحد الدارسين بقوله: «لم يتوسع القرطبي في الأسرار البلاغية أثناء شرحه للقرآن الكريم، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أنَّ الأندلسيين والمغاربة لم يعنوا بعلوم البلاغة والبيان، و لم يهتموا بها كثيراً على عكس المشارقة الذين توفروا على دراستها وشرحها، كما يرجع السر في ذلك أيضاً إلى أنَّ القرطبي كان يميل إلى استعمال الحقيقة»[6].

إلا أنَّ تفسيره لم يخل من المواضع الكثيرة التي شرح فيها الاستعارة أو التشبيه أو ذكر فيها البديع وغيرها من أصناف البلاغة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/١

(٢)سورة البقرة: ٧/٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٢/١

(٤) سورة المطففين: ١٤/٨٣

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٤٨٥/٤

(٦) (زلط) القصي محمود ـ القرطبي ومنهجه في التفسير: ٢٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٤ ـ **الفاصلة القرآنية:** عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٢م.
١٠٥ ـ **القرآن والصورة البيانية:** عبد القادر حسين، دار المنار، القاهرة، ١٩٩١.
١٠٦ ـ **القرطبي ومنهجه في التفسير:** القصبي محمود زلط، دار القلم، الكويت، ١٩٨١م.
١٠٧ ـ **الكامل:** المبرِّد أبو العباس، محمد بن يزيد، ت: محمد أحمد الدالي، ٤ أجزاء مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
١٠٨ ـ **الكتاب:** سيبوية، ابو بشر، عمرو بن عثمان، ٥ أجزاء، ت عبد السلام هارون عالم الكتب، بيروت، (صورة عن الطبعة المصرية التي صدرت عن غير دار من سنة ١٩٦٦ إلى ١٩٧٥م.
١٠٩ ـ **كتاب الصناعتين:** العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله، ت: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٢م.
١١٠ ـ **الكتيبة الكامنة فيمن لقتيه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة:** لسان الدين بن الخطيب، ت: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٣م.
١١١ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل:** الزمخشري، أبو القاسم، جاد الله محمود بن عمر، ٤ أجزاء، منشورات البلاغة، مطبعة القدس، ط٢، د.ت.
١١٢ ـ **لسان العرب:** ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل، محمد بن مكرم. ١٥ جزءاً، دار صادر، بيروت.
١١٣ ـ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:** ابن الأثير الموصلي، أبو الفتح، ضياء الدين نصر الله بن محمد، ٣ أجزاء، المكتبة العصرية، ١٩٩٠م.
١١٤ ـ **مجالس ثعلب: ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى، شرح وتحقيق:** عبد السلام محمد هارون، جزءان، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٤٨م.
١١٥ ـ **مجاز القرآن:** أبو عبيدة، مَعْمَر بن المثنى التيمي، ت: محمد فؤاد سزكين، جزءان، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٤.
١١٦ ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:** ابن جني. أبو الفتح، عثمان، ت: علي نجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جزءان، القاهرة، ١٩٦٩م.
١١٧ ـ **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** ابن عطية الأندلسي، أبو محمد، عبد الحق، ت: الرحالي الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي، صادق العناني، ١٥ جزءاً.
١١٨ ـ **مدرسة التفسير في الأندلس:** مصطفى إبراهيم المشيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٥ ـ **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان** (أعلام الأندلس والمغرب في القرن الثامن) ت: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٦ هـ.

١٣٦ ـ **نصب الراية الأحاديث الهداية:** بغية الألمعي في تخريج الزيلعي: الزيلعي أبو محمد، جمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي، المكتبة الإسلامية، ط٢، ١٩٧٣م.

١٣٧ ـ **نضرة الإغريض في نصرة القريض:** العلوي، المظفر بن الفضل، ت: نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

١٣٨ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب:** المقري، أحمد بن محمد التلمساني، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له: مريم قاسم طويل، يوسف علي طويل، ١٠ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٩٥.

١٣٩ ـ **النقد الأدبي الحديث:** أحمد كمال زكيْ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

١٤٠ ـ **النقد الأدبي الحديث:** (مقاييسه واتجاهاته وقضاياه ومذاهبه): حسن درويش العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١.

١٤١ ـ **نقد الشعر:** قدامة بن جعفر، أبو الفرج، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩.

١٤٢ ـ **نوادر أبي زيد الأنصاري:** أبو زيد الأنصاري، ت: الشرتوتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩.

١٤٣ ـ **النهر الماد:** أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ٨ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ط٢، حاشية البحر المحيط، ١٩٩٠.

١٤٤ ـ **هدية العارفين:** إسماعيل باشا البغدادي، جزءان، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

١٤٥ ـ **الوافي بالوفيات:** الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك، ٢٢ جزءاً، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

مقدمة		٨
١ــ الفصل الأول:	نشوء البحث البلاغي في التفسير الأندلسي	
	ــ تمهيد عن نشوء البحث الأندلسي	٩ ــ ١٣
	القرطبي: حياته	١٣ ــ ١٤
	ــ منهج القرطبي في التفسير البلاغي	١٤ ــ ٢١
	ــ تأثر القرطبي بالزمخشري وابن عطية	٢١ ــ ٣٠
	ابن جزي: حياته	٣٠ ــ ٣٣
	ــ منهج ابن جزي البلاغي	٣٣ ــ ٣٨
	ــ تأثر ابن جزي بالزمخشري وابن عطية	٣٨ ــ ٤٧
	أبو حيان: حياته	٤٧ ــ ٤٩
	ــ منهج أبي حيان البلاغي	٤٩ ــ ٥٨
	ــ تأثر أبي حيان بالزمخشري وابن عطية	٥٩ ــ ٧٠
	خاتمة الفصل	٧٠ ــ ٧٢
٢ ــ الفصل الثاني:	البلاغة في علم البيان عند القرطبي وابن جـــزي وأبي حيان	
	ــ تمهيد عن علم البيان	٧٣ ــ ٧٥
	ــ علم البيان	٧٥
	ــ التشبيه	٧٥ــ ١٠٠
	ــ الاستعارة	١٠٠ ــ ١٢٢
	ــ المجاز العقلي (الإسنادي)	١٢٢ ــ ١٣٥
	ــ المجاز المرسل	١٣٥ ــ ١٦٢
	ــ خاتمة الفصل	١٦٢ ــ ١٦٣
٣ ــ الفصل الثالث:	علم المعاني عند القرطبي وابن جزي وأبي حيان	
	ــ تمهيد عن علم المعاني	١٦٤ ــ ١٦٥
	ــ الخبر والإنشاء	١٦٦ ــ ٢٢٨
	ــ التقديم والتأخير	٢٢٩ ــ ٢٦٢
	ــ الفصل والوصل	٢٦٣ ــ ٢٧٨
	ــ خاتمة الفصل	٢٧٨ ــ ٢٨٢
٤ ــ الفصل الرابع:	علم البديع عند القرطبي وابن جزي وأبي حيان	٢٨٤ ــ ٣١٥
	ــ خاتمة البحث (النتائج)	٣١٦ ــ ٣٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit